وأما قوله (ولا يطعم) بضم الياء وفتح العين فتكميل دال على الغنى المطلق كقوله تعالى (وما أريد أن يطعمون) . ولا أثر له في الاستدلال إذ ليس في آلهة العرب ما كانوا يطعمونه الطعام . ويجوز أن يراد التعريض بهم فيما يقدمونه إلى أصنامهم من القرابين وما يهرقون عليها من الدماء إذ لا يخلو فعلهم من اعتقاد أن الأصنام تنعم بذلك .

(قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين [14]) استئناف مكرر لأسلوب الاستئناف الذي قبله . ومثار الاستئنافين واحد ولكن الغرض منهما نختلف لأن ما قبله يحوم حول الاستدلال بدلالة العقل على إبطال الشرك وهذا استدلال بدلالة الوحي الذي فيه الأمر باتباع دين الإسلام وما بني عليه اسم الإسلام من صرف الوجه إلى ا كما قال في الآية الأخرى (فقل أسلمت وجهي) فهذا إبطال لطعنهم في الدين الذي جاء به المسمى بالإسلام وشعاره كلمة التوحيد المبطلة للإشراك .

وبني فعل (أمرت) للمفعول لأن فاعل هذا الأمر معلوم بما تكرر من إسناد الوحي إلى ا .

ومعنى (أول من أسلم) أنه أول من يتصف بالإسلام الذي بعثه ا به فهو الإسلام الخاص الذي جاء به القرآن وهو زائد على ما آمن به الرسل من قبل بما فيه من وضوح البيان والسماحة فلا ينافي أن بعض الرسل وصفوا بأنهم مسلمون كما في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم ويعقوب (يا بني إن ا اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) . وقد تقدم بيان ذلك عند ذكر تلك الآية في سورة البقرة .

ويجوز أن يكون المراد أول من أسلم ممن دعوا إلى الإسلام .

ويجوز أن يكون الأول كناية عن الأقوى والأمكن في الإسلام لأن الأول في كل عمل هو الأحرص عليه والأعلق به فالأولية تستلزم الحرص والقوة في العمل كما حكى ا تعالى عن موسى قوله (وأنا أول المؤمنين) . فإن كونه أولهم معلوم وإنما أراد : أني الآن بعد الصعقة أقوى الناس إيمانا . وفي الحديث " نحن الآخرون الأول ون يوم القيامة " . وقد تقدم شيء من هذا عند قوله تعالى (ولا تكونوا أول كافر به) في سورة البقرة .

والمقصود من هذا على جميع الوجوه تأييس المشركين من عوده إلى دينهم لأنهم ربما كانوا إذا رأوا منه رحمة بهم ولينا في القول طمعوا في رجوعه إلى دينهم وقالوا إنه دين آبائه .

وقوله (ولا تكونن من المشركين) عطف على قوله (قل) أي قل لهم ذلك ليأسوا . والكلام نهي من ا لرسوله مقصود منه تأكيد الأمر بالإسلام لأن الأمر بالشيء يقتضي النهي عن ضده فذكر

النهي عن الضد بعد ذلك تأكيد له وهذا التأكيد لتقطع جرثومة الشرك من هذا الدين .

و (من) تبعيضية فمعنى (من المشركين) أي من جملة الذين يشركون ويحتمل أن النهي عن الانتماء إلى المشركين أي هو أمر بالبراءة منهم فتكون (من) اتصالية ويكون (المشركين) بالمعنى اللقبي أي الذين اشتهروا بهذا الاسم أي لا يكن منك شيء فيه صلة بالمشركين كقول النابغة : .

" فإني لست منك ولست مني والتأييس على هذا الوجه أشد وأقوى .

وقد يؤخذ من هذه الآية استدلال للمأثور عن الأشعري : أن الإيمان با وحده ليس مما يجب بدليل العقل بل تتوقف المؤاخذة به على بعثة الرسول لأن ا أمر نبيه صلى ا عليه وسلم أن ينكر أن يتخذ غير ا وليا لأنه فاطر السماوات والأرض ثم أمره أن يقول (إني أمرت أن أكون أول من أسلم) ثم أمره بما يدل على المؤاخذة بقوله (إني أخاف إن عصيت ربي إلى قوله فقد رحمه) .

(قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم [15] من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين [16]) هذا استئناف مكرر لما قبله وهو تدرج في الغرض المشترك بينها من أن الشرك با متوعد صاحبه بالعذاب وموعود تاركه بالرحمة . فقوله (أغير ا أتخذ وليا) الآية رفض للشرك بالدليل العقلي وقوله (قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم) الآية رفض للشرك امتثالا لأمر ا وجلاله .

وقوله هنا (قل إني أخاف) الآية تجنب للشرك خوفا من العقاب وطمعا في الرحمة . وقد جاءت مترتبة على ترتيبها في نفس الأمر .

A E